كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

المقياس : الأدب الشعبي

المستوى : السنة الثانية دراسات أدبية

الأستاذة : كاهية باية

**المحاضرة الأولى**

**الأدب الشعبي المفهوم والاصطلاح.**

مدخل:

كان النص الأدبي ولا يزال يحتل مكانة رفيعة جعلته يعنى بأدق الدراسات الأدبية والعلمية وأهمها، أما النص الشعبي فراح يبحث لنفسه عن عناية علمية ونقدية علها تسمو به إلى مصاف الدراسات الرسمية، وهذا الذي حدث بالفعل، إذ خطا النص الشعبي سواء النثري أو الشعري منه بخاصة خطوات جبارة جعلته ينال أكبر قدر من الاهتمام والبحث لأجل الوصول إلى معانية الخفية وقيمه الجمالية وإلى طياته التي تعمل في ثناياها من البذور ما يضمن لها البقاء والصيرورة، وحتى فرضت وجودها في مخابر البحث ووحداته للكشف عن كثير من الحقائق العلمية التي من شأنها أن تشد من عضد الاختصاصات المتبقية كعلم

الاجتماع و الأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس وغيرها.

ولأن دراسة الأدب الشعبي تعتبر من الدراسات المستحدثة، التي حاولت أن تعتمد على أحدث مناهج البحث وطرقه، وأن تستفيد من آخر ما وصل إليه التطور في العلوم والمعارف الإنسانية، إلا أن ذلك كله لم يحل دون تداخل أسمائها ومصطلحاتها، مما أدى إلى خلط في تحديد مفاهيمها، وتعارض في تفسيرها وأصبح الأدب الشعبي اسما تلوكه الألسنة على كل وجه، وصارت صورته مطموسة في الأذهان، غير واضحة المعالم، كل هذا صدر تحت شعار" الشعبية"، كأنما هي تعني الجهل الانحطاط والتخلف.

ولما كان السبب الأساس في هذا الذي حدث هو إطلاق الأسماء على غير مسمياتها، واستخدام المصطلحات في غير موضعها وتحوير المفاهيم وإحالة المعاني، ولما كانت منهجية البحث تقتضي أن يسبق الموضوع عرض لما سوف يرد فيه من أسماء وألفاظ اصطلاحية، بحيث يحدد لها مفهوما دقيقا ليفهمها ويستوعبها جميع الناس، ولكي يجنبها من كل ما قد يحدث لها فيما بعد من تفسيرات متعارضة، فإن تحديد مفاهيم الأسماء والمصطلحات كثيرا ما يساعد على تجديد جوانب البحث وعلى رسم أبعاده ومجالاته، ثم الوصول إلى أعماقه.

ولعل أول المصطلحات التي يجب الخوض فيها وهي التي تشكل للبعض مترادفات غير أنها في حقيقة الأمر ليست كذلك، وكل منها يختلف عن الآخر وهي: الفلكلور، الأدب الشعبي، الأدب العامي.

* **أولا: الفلكلور:**

...وهي كلمة ألمانية الأصل " volkskunde" وترجمتها " علم الشعوب" وتعني في معناها العام: الإرث الثقافي عن الأجداد، والفلكلور هو نوع من أنواع الفنون القديمة، التي تنسب لحضارة بلد ما، ويتم نقله من جيل إلى جيل آخر، ويقوم كل جيل بإضافة ما هو جديد أو حذف شيء، وذلك على حسب ما يناسبهم"[[1]](#footnote-1).

والفلكلور " folklore ": اسم اصطلاحي منحوت من أصلين لاتينييّن هما": folk " وتعني الناس أو الشعب و" lore"وتعنى الحكمة أو المعرفة بمعنى :"حكمة الشعب" أو" معرفة الشعب"[[2]](#footnote-2)

في الحقيقة للفلكلور تعريفات عديدة من أهمها تلك التي عرضها الدكتور "محمد الجوهري"

في كتابه دراسات في علم الفلكلورمنها[[3]](#footnote-3)

1. الفلكلور: هو التراث الشفاهي.
2. الفلكلور: هو تراث الفلاحين أو الطبقات الدنيا في المجتمع.
3. الفلكلور: يدرس التراث الشعبي في المجتمعات التاريخية.
4. الفلكلور هو دراسة التراث الشعبي دراسة شاملة مقارنة.
5. الفلكلور يدرس الثقافة التقليدية أو التراث الشعبي ويهتم بكل شيء ينتقل اجتماعيا من الأب إلى الابن ومن الجار إلى جاره مستبعدا المعرفة المكتسبة عقليا، سواء كانت محصلة بالمجهود الفردي أم من خلال المعرفة المنتظمة والموثقة التي تكتسب داخل المؤسسات الرسمية كالمدارس والمعاهد والجامعات.

وبعد السير: "وليام جون تومس" william jhon tomas أول من أطلق هذا المصطلح عام 1846ليدل به على فرع جديد من الدراسات المنبثقة عن علم الأنثروبولوجيا وقد ظهر هذا الاتجاه كانعكاس واضح للظروف التي كانت سائدة في أوريا التي كانت قابعة تحت متغيرات سياسة واجتماعية وفكرية، ولعل من بين أهم المؤثرات في هذا التوجه هي: "الثورة الفرنسية" أو "الثورة الصناعية"، التي غيرت قوانين العالم و أوضاعة خاصة بعدما اكتشف إنسان القرن 19 الآلة هذه الأخيرة التي غيرت نمط حياته جملة وتفصيلا، وكادت تحل محله لولا أنه استشعر أحاسيس جعلته:

1. يندفع إلى الاتجاه بالمعرفة والدراسة نحو ذاته، والبحث في كل ما يتعلق به أولا وقبل كل شيء.
2. انتشار الروح القومية والتمسك بالحريات الفردية، جعله يبحث في ماضيه واسترجاع كل أسباب التطور والازدهار سواء على سبيل فرديته كانسان أوربي يريد التغلب على هذه الآلة أو على أساس القيام بتغيير قوانين السيطرة على الإنسان وفرديته وفك قيود التبعية.
3. اتجاه العلوم- بعد تقدم مناهج البحث- نحو التخصص الدقيق، وبالتالي اعتماد الفلكلور علما متخصصا في دراسة معرفة الناس وحكمتهم، وكل ما يتعلق بحياتهم.
4. استكمال بعض العلوم لكيانها الخاص واستقلالها بذاتها دون التمسك والتعلق والرجوع إلى علوم أخرى، ك"علم النفس" و"علم الاجتماع" اللذين استقلا بكيانها الخاص، وبالخصوص بعد استقلالها عن "الفلسفة" أم العلوم.
5. تغيير طرق الحياة، واختلاف وسائل العيش اختلافا كبيرا عما كان يعيشه الإنسان في الماضي.
6. سيادة الآلة وسيطرتها على الإنسان وهذا ما جعل العصر يسمي ب"الثورة الصناعية "وكأنها ثورة الآلة على الإنسان وطغيانها عليه.
7. تغيير سبل الحياة وتطور العادات والتقاليد والإحساس بأن هذه الحياة الجديدة وشيكة القضاء على كل موروث تراثي، وعن كل ماضي مقدس.
8. انكماش الاتجاهات المعنوية والفنية والعقائدية أمام التقدم المادي الجارف.
9. بوار الصناعة اليدوية والتقليدية ومعظم الأعمال التراثية أمام الإنتاج الآلي الرهيب والسريع.
10. زوال بعض ألوان الفنون الشعبية القديمة أمام التطور الاقتصادي والتكنولوجي الجارف.

هذه الأسباب وغيرها كثير دفعت بإنسان هذه الفترة إلى أن يبحث لنفسه عن وسائل وسبل يواجه بها هذه الحياة الجديدة وتمكنه من الاحتفاظ والمحافظة على توازنه واستقراره، وكان من بين ما توصل إليه التمسك بموروثاته التراثية، والحرص على توثيق الصلة بينه وبين ماضية.

وعلى العموم يقول "طومسون:

" إن الفلكلور هو التراث أنه الشيء انتقل من شخص إلى آخر وحفظ إما عن طريق الذاكرة أو بالممارسة أكثر مما حفظ عن طريق السجل المدون ويشمل: الرقص، الأغاني، والحكايات، قصص الخوارق والموروثات، العقائد والخزعبلات. كما أنه يشمل دراسة العادات والممارسات الزراعية المأثورة.

والممارسات المنزلية.

وأغطية الأبنية وأدوات البيت.

والظواهر التقليدية للنظام الاجتماعي[[4]](#footnote-4)

ولأنه يمثل التراث الثقافي غير المادي فهو يشتمل:

ما ينقل شفاهيا أو يعبر عنه حركيا، كاللغات واللهجات والعادات والتقاليد والطقوس والمعتقدات والممارسات الشعبية والاحتفالات والأعياد الشعبية والدينية والمهن والحرف والألعاب والأحاجي والألغاز والأمثال والحكايات الشعبية والأشعار المنقولة شفاهيا والغناء والموسيقى بأنواعها كالريفية والبدوية والعسكرية وفنون الاستعراض والرقص.

ولعل أول من اهتم بالدراسات الفلكلورية هي الدول الأوربية على عكس الدول العربية التي كانت تقبع جميعها إن لم نقل كلها تحت وطأة الاستعمار، وبالتالي فإن أوربا هي التي اهتمت بهذا الجانب أكثر ولاسيما ألمانيا أو جرمانيا، من خلال مجهوّدات الأخوين "جريم" "ويللّهم جريم "و"جاكوب جريم" اللّذان عملا على جمع التراث الشعبي الألماني بشتى أشكاله ولاسيما الحكايات الشعبية بغية الحفاظ على الموروثات التراثية الشعبية، واستغلالها في خلق روح قومية محافظة.

نجح عمل الأخوان "جريم" نجاحا باهرا، وسرعان ما انتشرت فكرة هذه الدراسات الجديدة وعمت معظم الدول الأوربية و قد قامت الدراسات الفلكلورية على أساس مرحلتين أساسيتين أولهما تولت عمليات الجمع الشامل، والتقصي لكل ما يمكن الوصول إليه من المورثات التراثية طبقا للنظريات المختلفة.

وقامت المرحلة الثانية بعد ذلك على أساس الأولى، وهي مرحلة الدراسة أي دراسة هذه المادة التي تم جمعها دراسة منهجية وعلى أسس علمية حديثة.

**ثانيا :**

الأدب العامي**.:**

انتهت مدارس فقه اللغة إلى التفرقة بين اللغة والكلام، أي أن اللغة التي تستخدم في الكتابة والتدوين تختلف اختلافا كبيرا عن تلك التي تستخدم في المعاملات اليومية والحياة العامة بين الناس.

فهناك فارق بين لغة الحديث أو اللسان – لغة الكلام-» langue»وبين اللغة بمعناها الاصطلاحي- langage - ولابد لأي أمة من الأمم أو أي شعب من الشعوب أن يحوي هذين النوعين معا :لغة الكتابة ولغة الكلام.

فأما لغة الكتابة والتدوين، والتي لا تستعمل كوسيلة للمخاطبة إلا فيما ندر، فهي لا تخضع للتغيرات والتطورات المتتابعة التي شهدها لغة الحديث أو لغة المخاطبة والكلام، وإنما تحتفظ بكيانها ومكانتها لمدا أطول، فهي اللغة الأصلية وتحتفظ بخصائصها وتكاد تكون موحدة عند جميع الأفراد.

أما لغة الكلام "اللهجة"فإنها تخضع لعوامل مختلفة متعددة، تبدأ من الفروق الفردية بين الأشخاص في أعضاء النطق وتنتهي بالظروف الجغرافية المناخية، مارة بالظروف الاجتماعية والبيئية ونحوها، ومن هنا يمكن القول أن لغة الكلام تختلف من فرد لفرد. من خلال هذه الفرو قات الموجودة بين لغة الكلام واللغة يمكن لنا تحديد بعض الصفات التي تميز بين الأدب العامي عن كل من الأدب الرسمي والأدب الشعبي.

لقد حصر الباحث محمود ذهني[[5]](#footnote-5) هذه الصفات فيما يلي:

1. يستخدم الأدب العامي اللهجة المحلية، الدارجة التي تحررت من الإعراب، ولهذا أطلق عليه "صفي الدين الحلي"اسم:" الأدب العاطل" ووصفه بأن إعرابه لحن وفصاحته لكن قوة لفظه وهن لذلك فإن ورود ألفاظ فصيحة أو معرية في الأدب العامي يعتبر عيبا بالقدر نفسه الذي يعتبر ورّود ألفاظ عامية في الأدب المدرسي نقصا فادحا، ومن هنا فإن لغة الأدب العامي لا ترقى إلى التعبير عن الفكر إذ نجدها مختصرة يصعب كتابة أصواتها غالبا وتختلف في دلالة كثير من مفرداتها:

فكلمة " بز" تعني في الغرب الجزائري الطفل الصغير، وفي الشرق تعني عند البعض الصغير الطائش، وعند البعض الاخر صفة للشتم بمعنى لقيط، فالأدب العامي يتوسل بالكلمة ولكنها غير كافية للتعبير عن الغاية لذلك يستعين بالحركة التمثيلية والإشارية ( حركة اليد، العين، الرأس).

1. الأدب العامي بحكم استعماله للهجة المحلية التي هي لغة المعاملات المعيشية اليومية- لا يستطيع أن يخرج عن الدائرة المحلية التي تحددها هذه اللهجة، ولذا فإنه يعبر عادة عن اهتمامات محلية محصورة في نطاق أصحابها، دون أن يستطيع التحليق في آفاق الإنسانية العامة أو اهتمامات الجماهير الشعبية ( المكان)
2. الأدب العامي المرتبط بالواقع المعيش لأصحابه يتناول عادة موضوعات الساعة الراهنة ذات الاهتمام المباشر، ولهذا يكاد يكون أدبا موسميا لا يعيش إلا في مدى حياة المشكلة التي يعالجها، فإذا ما انتهت هذه المشكلة أو تناساها الناس ضاع منها أدبها، أو فقد جانبا كبيرا من قيمته، (الزمان) مثل الرسوم/ الكاريكاتورية) التي تكون قوية التأثير والتعبير وقت ظهورها المرتبط بحدث معين فإذا ما مرا لزمن على هذا الحدث فقدت قيمتها.
3. الأدب العامي بحكم كونه محصورا في نطاق إقليمي ضيق يكون في أغلب الأحيان- معروف القائل منسوبا إلى صاحبه الفرد متعرفا عليه، في حدود دائرته المكانية وفترته الزمانية، بعكس الأدب الشعبي الذي ينتسب إلى فرد هو أول من أوجده أو صاحب الانبثاقة الأولى فيه، أي المبدع الأول، ولكن دوامه يدل على تداوله بين الشعب.
4. الأدب العامي يستخدم لهجات محلية لم ترق إلى مستوى اللغة، ولهذا فهي تقتصر على صوتيات الكلام دون أن يكون لها قواعد تمكن من كتابتها بطريقة منضبطة مضبوطة، لهذا فإنه يعتمد على المشافهة دون الكتابة، لأنه إذا ما سجل استعار طريقة كتابة اللغة الفصحى، وبذلك يفقد جانبا كبيرا من قدرته التعبيرية، لهذا كانت معظم ألوانه منظومة قدم صفي الدين الحلي دراسة كاملة عن الأدب العامي يقول: " ومجموع فنونه عند سائر المحققين سبعة فنون لا خلاّف في عددها بين أهل البلاد وإنما الاختلاف بين المغاربة والمشارقة فنيين منهما والسبعة مذكورة هي عند أهل المغرب ومصر والشام: الشعر القريض والموشح، والدوبيت والزجل، والمواليا والكان كان والحماق" [[6]](#footnote-6)
5. نظرا لارتباطه بالموسيقى (خاصة الشعر منه) عن قصد أو عن غير قصد فإن ذلك جعله مطية لفن آخر وهو الغناء، وأصبح لا يصل إلى الناس إلا عن هذا الطريق وصار الزجال يطلق عليه لقب الشاعر الغنائي أو الغناي، فالغناء الشعبي أسبق الفنون إلى الظهور ولا سيما الغناء الجماعي الذي استخدمه البدائيون في الحرب والسلم على السواء وفي بث روح التماسك بين أفراد القبيلة في مواجهة الخطر الخارجي أو من الحيوانات أو من الطبيعة، كذلك في المراسم والطقوس الدينية.

قد أدى فن الغناء بالأدب العامي على فقدان ذاتيته.

وتعد الأغنية الأنموذج المفضل لتوضيح حدود الأدب العامي والأدب الشعبي وبيان رواج نصوصهما الغنائية.

إذ يرى الدكتور الباحث محمد عيلان[[7]](#footnote-7) من جامعة عنابه أن مسميات الأغنية تتعدد في الأدبين العامي والشعبي، فقد تنسب إلى المكان مثل: أغنية أوراسية أغنية صحراوية، أو تنسب إلى القبائل والأعراش مثل أغنية قبائلية، ترقية، صحراوية، سوفية، أو إلى أفراد لهم قدسيتهم في ذهن العامة أمواتا أو أحياء كالأولياء الصالحين وهو نوع من الغناء الروحاني الصوفي يعد من أثار تمجيد السلف والتعلق بسلوكه وطقوسه، وقد تنسب الأغنية إلى الأحداث مثل: أغنية ثورة التحرير ( يا أمي لا تبكي علي)، وقد تنسب إلى الزمن دون تحديد كقولهم أغاني عصرية، أغاني عام الشر، عام الروز، عام الماريكان، وهي الأغاني التي تعبر عن أحداث وقعت أثناء الحربين العالميتين، وهي معوفة بالشرق الجزائري، وقد تنسب إلى علم معروف فيقال: أغنية فلكلورية نسبة إلى الفلكلور الذي يطلق أحيانا على المادة موضوع الدراسة، وأحيانا أخرى على العلم الذي يدرسها بأدواته ومناهجه.

وتعد أغاني ( مول الشاش) و (ساترها) و (صب الرشراش) وأغاني الشعبي العاصمي الذي طوره المرحوم: " الحاج محمد العنقاء" وبعض الشيوخ الاخرين من الأدب العامي.

وتندرج أغاني الحاج رابح درياسه أو عبد الحميد عبابسة وخليفي أحمد ضمن الأدب الشعبي لأنها تستمد مادتها من الشعر الملحون، وهناك من الأغاني المعروفة في الأدب العامي باسم الراي، والراي أو الرأي أصلا من بكائيات الأندلس فهو لحن لأغاني الندب لأن الأندلسيين الفارين من بلادهم التي استرجعها الأسبان والذين نزل بعض منهم بمنطقه الغرب الجزائري كانوا يبكون مدنهم بقولهم ( يارايي يارايي لو انك كذا) وفي مجال الأغنية العامية يمكن أن نشيد بالمرحوم"دحمان الحراشي" الذي استطاع أن يطور الأدب العامي وينقله إلى مستوى الأدب الشعبي ويتجاوز الحدود مثال ذلك: أغنية ( ياالرايح وين مسافر تروح تعيي وتولي".التي بلغت العالمية.

ثالثا :

الأدب الشعبي:

لعله من الصعب أن نضع تعريفا أو تفسيرا شافيا كافيا شاملا للأدب الشعبي- كما سبق كل من الفلكلور والأدب العامي وذلك لدقة موقعة بينهما، مما يصعب عملية العثور والوصول إلى تعريف دقيق، يضع حدودا فاصلة واضحة بين الأدب الشعبي من جهة، وكل من الأدب العامي والأدب الرسمي من جهة ثانية.

وقد يعود السبب في ذلك إلى أن الأدب الشعبي لا ينشأ قائما بذاته إلا نادرا، ولكنه في العادة ينشأ كعمل من أعمال أحد هذين الأدبين- الرسمي أو العامي- ثم تؤهله خصائص كامنة في ذاته لأن يتحول إلى أدب شعبي.

يمثل د: عبد الحميد يونس للثقافة الجماهرية( الشعبية) بسفح الهرم، عند القمة يوجد الأدب الرسمي، وعند القاعدة يوجد الأدب العامي، أما الأدب الشعبي، فهو ذلك الذي يستطيع أن يرتقي من القاعدة صاعدا، ومنتشرا على السفح بأكمله، معنى ذلك أن الأدب الشعبي هو في الحقيقة فصائل من الأدب الرسمي، أو الأدب العامي، استطاعت أن تجوز صفات خاصة ومميزة من ظروف بيئية معينة، أو جدت فيها شيئا خفيا أشبه بما أطلق عليه العالم الطبيعي تشارلز دارون اسم " الطفرة" التي تحقق حلقة من حلقات الارتقاء، والتي يتم بموجبها التطور من فصيلة إلى فصيلة.

وقد يعرفه الغرب بأنه الأدب الذي يطلق على الخصوص على ما يروج بين الناس من أجناس دون أن يعرف القائل، أو ما ألف بخصوص طبقات الشعب التي ليست لها ثقافة تؤهلها لتذوق الانتاجات الأدبية لكبار الكتاب والشعراء". [[8]](#footnote-8)

أما عند العرب فإن ( اسم الأدب الشعبي) مصطلح في الحقيقة عربي مؤلف من ألفاظ عربية خالصة من العصر الحديث ابتكرها العرب وإن كانوا قد استعاروها من الكلمة الغربية ( فلكلور folklore) في فترة الخمسينات منهم: أحمد رشدي صالح، وفاروق خور شيد فوزي العنتيل ونبيلة إبراهيم سالم، وحسين النصار.[[9]](#footnote-9)

ولأن الأدب الشعبي لأية أمة أدب عاميتها التقليدي الشفاهي مجهول المؤلف، المتوارث جيلا بعد جيل". [[10]](#footnote-10)

لعه من الصعب ربط ظهور الأدب الشعبي بتاريخ معين، وقد ظل مقرونا بالإنسان الأول الذي ظهر على البسيطة، وهو الذي أطلق عليه علماءAnthropologieوالأانثروبولوجيا اسم الإنسان البدائي، صاحب المستوى الحضاري البسيط وقد مارس الإنسان البدائي صراعا مع الطبيعة وقواها فشكلت هذه الممارسات رصيده الثقافي والأدبي فتوارثها أبناؤه عبر العصور ويتمثل هذا الأدب البدائي في الملاحم والأساطير والحكايات الخرافية وحكايات الحيوانات، وقد احتوت هذه الأنواع العناصر السحرية والدينية كالصراع مع الالهة وتضمنت التاريخ الاجتماعي.

إن غياب الكتب وانعدام التدوين قد أضاع جزء كبيرا من هذا الأدب، إذ يرى أحمد رشدي صالح أن أدب الملاحم الشعبية سابق على الدين، وأن قصص الجان القصيرة أو القصص الإخبارية وأغاني العمل قد سبقت الملاحم بدورها بفترة طويلة". [[11]](#footnote-11)

ورغم هذا الموقف الدقيق الذي يقفه الأدب الشعبي حاول كثيرون تقديم تعريفات متعددة له نوجزها فيما يأتي:

1. **إن الأدب الشعبي هو الذي يستخدم اللهجات الدارجة**:

هذا التعريف تراه يخلط بين الأدب الشعبي والأدب العامي حيث أنه من المسلم به أن الأدب العامي هو الذي يستعمل اللهجات الدارجة، وإذا يذهب هذا التعريف إلى أن العامية شرط جوهري في تحديد مفهوم الأدب الشعبي، بقدر ما تشكل اللغة جزاء هاما من العمل الأدبي فإن المحتوى لا يقل عنها أهمية.

فلا مكان للاعتراض على أن الطبقات الدنيا من الشعب العاطلة عن الثقافة ( غير المثقفة) تكون غير قادرة على تلقي تلك اللغة الفصحى وفهمها، ولا مكان للاعتراض أيضا على أن النماذج العليا للأدب الشعبي موجودة باللهجات الدارجة، فهذا الزعم غير صحيح، وإنما الأمر على العكس تماما، فإذا أخذنا النماذج العالمية اعتبارا من:" إلياذة هوميروس" و"إنياذة فرجيل"في الأدب :"اليوناني والروماني" و"البنتشاتنتر"أو"المهابهارتا "في الأدب الهندي إلى أف ليلة وليلة ومجموعة السير الشعبية العربية، فالفصحى إذن ليست شفيعا لهذا الأدب من أن يكون شعبيا، فشعبيته لا تكمن في عامية لغته على الرغم من أن بعض هذه الآثار السردية تلتجئ في بعض الأطوار إلى الاغتراف من العامية لغايات فنية طورا ولعجز الرواة والساردين فيما يبدو عن العثور على ألفاظ فصيحة طورا آخر.

فما كل ما يكتب بالعامية كذلك يعد بالضرورة أدبا شعبيا، وتجري هذه السيرة على ما يكتبه المثقفون من مسرحيات وروايات، وكلمات أغان بالعامية التي لا ينبغي أن ترقى إلى درجة الأدب الشعبي.

إن صفة الشعبية التي تلازم أجناسا من الأدب وضربا من القول لا تكمن إذن في العامية ولا في الفصحى، وإذا كانت العامية أداة الأدب الشعبي بوصفها من مقوماته وإنها عامل مشترك بين الأثر المجهول المؤلف والمعروف فإنه لا ينبغي الخيار في استخدام اللغة التي يريدها المبدع الشعبي عامية أو فصحى فمن الخطأ أن نطلب من المبدع الشعبي الذي ينتمي إلى الطبقة الدنيا التعبير بالفصحى والعامة الذين يخاطبهم عاجزون عن فهمها في كل تلك الأعمال السابقة الذكر نجدها مدونة جميعا باللغات الرسمية أي المشتركة أو الفصحى، فالأولى: أي إلياذة هوميروس و"إنياذة فرجيليوس"- تعتبر من عيون الشعر في أدبها والثانية :"المهابهارتا "و "البنتشاتنترا" من مفاخر الأسلوب النثري في أدبها، والثانية ( ألف ليلة وليلة)، وجدت وتم تداولها الأول باللغة الفصحى، ليس معنى ذلك أن الأدب الشعبي لا يستعمل اللهجة الدارجة، فهو قد يستعملها، أو لعل من الأفضل القول بأنه يستعملها بإطراء في حالة التداول الشفوي، ولكنه يستعمل عامية منبثقة عن الفصحى أو أ قرب ما تكون إليه – لغويا- وحين يسقط الإعراب عنها تصير أكثر شبها بالعامية، غير أنها في الحقيقة تبتعد عن العامية بعدا كبيرا.

من هنا نستطيع القول بأن " اللغة" لا تصلح أساسا لتعريف الأدب الشعبي، فهي وإن كانت سمة من السمات المميزة للأدبين الرسمي الذي يختص بالفصحى والعامي الذي يختص بالدارجة فإنها بالنسبة للأدب الشعبي تخرج عن قيود الفصحى والعامية وتستقل بكيان متغير متنقل بينهما، يبسط الفصحى حتى تقارب العامية، ويرتفع بالعامية لتأخذ صفة الشمول، وتبتعد عن المحلية لتأخذ سمة اللغة المشتركة.

1. **الأدب الشعبي هوأدب مشافهة**:

بتناقله الناس كلا ما دون تدوين في مقابل الأدب الرسمي الذي يلزم له التدوين:

قد يعتمد في هذا الجانب من التعريف على السمع، إذ أن هذا الأخير أي النقل الشفاهي يعتمد أساسا السمع، فهو فعل ضروري ومسلم به، وقد توارثت الأجيال السالفة السابقة الأدب الشعبي من الممارسة العائلية من فم العجوز الجدة أولا بحكم غياب الرجال عن البيت ومكوثها مع الأبناء لوقت أطول، أو من فم الشيوخ في المقاهي العمومية، أو من فم المادحين والقوالين وهم المغنون العموميون الذين ينشرون الأدب الشعبي في الأسواق، وينقل كل واحد منهم الأدب الشعبي بطريقة شفهية أثناء حفل أو تجمع أو حديث مع القدامى.

إن هذا التعريف، إما أنه أهمل الأدب العامي، أو أنه لم يفرق بينه وبين الأدب الشعبي مرة أخرى، واعتبرهما أدبا واحد، ففي التعريف الأول نبين أن اللغة لا تصلح كأساس لتعريف الأدب الشعبي.

الأدب الشعبي قد يعمد إلى المشافهة ويعتمد عليها في تداوله وتلك إحدى خصائصه البارزة التي تمكنه من الانتشار والصيرورة، وقد نقول أنه يتشابه مع الأدب العامي، بل ربما زاد على ذلك استعارة بعض أدواته ووسائله، كأن يعمد إلى الموسيقى الخارجية، مثل ما يتم في رواية السير الشعبية، أو مثل :"الإلياذة أو الأوديسا"، قيل أن "هوميروس"كان يجوب القرى والمدن حاملا عودة على ظهره لينشدهما للناس، لكن كل هذه سمات عرضية بالنسبة للأدب الشعبي، بعكس ما هي عملية في الأدب العامي، ولهذا لا تصلح كأساس يبنى عليه تعريف الأدب الشعبي.

إن الرواية قد أسهمت بشكل كبير وفعال في نقل التراث العربي سواء كان شعبيا أم رسميا، فقد كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف يرويان شفاهيا، ويعتبر الفقهاء التواتر من المصادر الهامة، وتظهر الرواية أداة هامة في نقل الأدب الشعبي.الموزع بين المقلدين والمبدعين من الرواة، ولكن يمكن أن تكون الرواية مع ذلك شرطا أساسيا، إن اشتراط الرواية يتضمن عدم الاعتراف بالأدب الشعبي المطبوع، مثل ألف ليلة وليلة، والسير الشعبية، وقد زادت الطباعة هذا الأدب المكتوب انتشارا بين الناس.

1. الأدب الشعبي هو أدب مجهول المؤلف**:**

يعتمد هذا التعريف في قيامه على شخصية المؤلف، وهو أيضا يهمل الأدب العامي، أو يدمجه بالشعبي واكتفى بالتفرقة بين الأدب الرسمي والأدب الشعبي، على أساس أن الأول هو المعروف القائل والثاني هو المجهول القائل.

ولعل هذا التعريف أيضا جعل المقارنة بين الأدب الرسمي و الأدب الشعبي على أساس أن الأول هو الذي يكون دائما معروف القائل، والثاني هو الذي يكون مجهول القائل، غير أن شرط جهل المؤلف غير وارد في تعريف الأدب الشعبي ذلك أن عددا كبيرا من المؤلفين يذكرون أسمائهم في اخر القصيدة وتاريخ نظمها أحيانا.

وقد دلت الأبحاث منذ نهاية القرن 19 وبداية القرن 20 عن خطأ افتراض مؤلفات انتجها الإبداع الشعبي اللاشخصي وكشفت الأبحاث المنظمة عن حياة الرواة وأعمالهم ممن يسمون " حملة التراث الشعبي" عن الدور الهام الذي تؤديه كل جوانب النشاط الفردي المختلفة كالمهارة والتدريب والموهبة والذاكرة والخيال، إن كل مؤد للأعمال الشفهية إنما هو مبدع في آن واحد.

إن مجهولية العمل الأدبي وعدم انتسابه إلى مؤلف يرجع إلى أن أسماء المؤلفين لم يكشف عنها في أغلب الأحيان لأنها لم تدون وصارت وسيلة حفظتها ذاكرة الشعب فقط، غير أن الحال لم يكن كذلك في كل مكان دائما، إذ أن عددا من الأغاني المؤلفة قديما والحديثة نسبيا تحتفظ بأسماء مؤلفيها وترد هذه الأسماء عادة في آخر الأغنية داخل صياغات صوتية ( الوزن، القافية، التجانس) وقد أصبحت هذه الحيلة التي لجأ إليها الشعراء للاحتفاظ بأسمائهم في النصوص المعروفة الآن على نطاق واسع.

إن أسماء كثير من مؤلفين الأغاني ستظل مجهولة لأنهم لم يسجلوا أسمائهم حين ألقوا هذه الأغاني، وإنما نشروها عن طريق الرواية ومع ذلك نؤكد أن المجهولية لا تعني أن النتاج الشفوي غير شخصي.

فمجهولية المؤلف ليست سمة خاصة بالأدب الشعبي عند مقارنته بالأدب المدون، ولوجود الشذوذ في الطرفين لا يمكن الحكم بيقينية التعريف فإذا تناولنا الأدب الرسمي ودققنا النظر في أحد الأعمال المشهورة، وهو ديوان الحماسة لأبي تمام نجد بأن الشاعر قد اختار الكثير من المقطوعات الشعرية ليتمثل بها ولم يورد أصحابها أو أسماء أصحابها واكتفى بالقول قال أعرابي، قال شاعر أو قال آخر، وسواء هو كان على علم بأسماء أصحابها أم لا فهي بالنسبة لنا اليوم مجهولة القائل، ولا يمكن على هذا الأساس أن نصنفها ضمن الأدب الشعبي لا لشيء سوى لأنها لم تذكر أسماء أصحابها، أو أننا نقسم كتاب أبو تمام إلى قسمين القسم الذي يحمل أسماء الشعراء يصنف ضمن الأدب الرسمي والقسم الذي لا يحمل أسماء الشعراء يصنف ضمن الأدب الشعبي، هو كلام غير منطقي؟ كذلك الأمر بالنسبة للأعمال الشعبية وبالخصوص سيرة عنترة بن شداد، إذ يقال بأنها من تأليف " يوسف ابن إسماعيل" في القرن الرابع هجري في طبعتها الحجازية، أو هي من تأليف ابن قريب الأصمعي والمهم ليست شخصية المؤلف لسيرة عنترة ولكن المهم هو الإشارة إلى أن شخصية المؤلف كانت معروفة، أو يمكن أن تكون كذلك وعلى هذا يصبح القول بأن الأدب الرسمي هو المعروف القائل والأدب الشعبي هو المجهول القائل غير صحيح وفيه إعادة نظر.

1. **الأ**دب الشعبي هو الأدب الذي يشترك في تأليفه أكثر من مؤلف:

تقريبا يعتبر هذا التعريف تحريف واضح للتعريف السابق حيث أن الجهل بالمؤلف يمكن أن يدل على تعدده وتعدد المؤلف يمكن أن يؤدي إلى الجهل به.

والرد السابق يصلح أن يكون نفسه ردا على هذا التعريف، إذ لم يحدث أن التقينا يعمل شعبي- عربيا كان أم أجنبيا من تأليف عدد من الأشخاص أو بالتحديد اشترك في تأليفه أكثر من مؤلف واحد، لكن المسألة التي ينبغي الوقوف عندها لتوضيح الفرق بين إنشاء العمل الأدبي الشعبي وانتشاره، أو صيرورته، فالمعنى والمقصود بوحدة المؤلف في الأدب الشعبي، هو أن صاحب الإنبثاقة الأولى فيه شخص فرد، ولكن مجرد استحواذ هذا العمل على مقومات الأدب الشعبي يدفع به إلى الصيرورة والانتشار، وهذه لها عدد من المؤثرات المباشرة عليه منها:

1. اعتماده على المشافهة في التداول: وهذا يجعله عرضة للتغيير والتبديل والزيادة والنقصان، وتلك ظاهرة طبيعية تقرها الدراسات النفسية، حيث يقال أن انتقال الحكاية من فم إلى فم يحولها إلى حكاية أخرى غير الأولى، وعلى ذلك يمكن القول بأنه كلما قام شخص بنقل عمل أدبي أصبح مشاركا بقدر ما في تأليفه، جراء ما أضاف إليه أو عدل وبدل فيه.
2. وفيه نستطيع أن ندمج بين عنصر الرواة المحترفون والرواة غير المحترفين فكل منهما له طريقته الخاصة في الرواية، خاصة وأن هذا الفن كانت له من الأهمية بمكان حيث كان يبقى على حياة الناس في كثير من الأحيان ولعل قصة شهرة زاد في القصص العالمي" ألف ليلة وليلة "أكبر دليل على ذلك، ولا اختلاف في كون كل قبيلة كان لها راويتها فمنهم من كان يتخذها مهنة للتكسب ومنه قد يضيف كما قد ينقص في المواطن والمواقف التي يراها جذبت جمهور المستمعين إليه... ففي مواقف الإعجاب يضيف ويطيل ويتفنن في العرض والقص أما المواقف التي لا يرى فيها تفاعلا ولا تجاوبا فيتلافاها أو يجتنبها، وهذا من شأنه أن يجعله مشاركا بطريقة أو بأخرى في تأليفه.
3. **عاملي الزمان والمكان:**

قد يكون هذان العاملان من أهم العوامل المؤثرة في العمل الشعبي على اعتبار أن الزمن كفيل بتغيير العمل الأصلي، إذ قد تدخل مصطلحات وعبارات جديدة العمل الفني بحكم انتقاله من مكان إلى مكان آخر وتأثير الظروف المحيطة به أيضا ولكن هذا الأمر لا ينبغي أن ينفي نسبة أي عمل أدبي فتي إلى صاحبه الفرد، فلا شك في أن الإنبثاقه الأولى هي في الأساس لشخص فرد ثم بحكم هذه الظروف السابقة الذكر يمكن أن ينسب العمل إلى الجماعة ويتجاهل صاحبه الأول "يوري سكولوف" الفلكلور قضاياه وتاريخه.[[12]](#footnote-12)

1. الأدب الشعبي هو الأدب الذي يقدم إلى الطبقات الهابطة والدنيا من المجتمع**.:**

لعل هذا التعريف يركز كثيرا على مصطلح الشعبية على اعتبار ما يتضمنه هذا المعنى في قاموس الحياة المعاصرة، إذ يعني كل ما هو أدنى الدرجات فبالمفهوم السياسي يعني مصطلح الشعبية الطبقة العاملة من فلاحين وعمال كادحين مأجورين أما بالنسبة للمفهوم الاجتماعي فهي تعني طبقة الفقراء والمحتاجين و المعوزين المساكين.

ولكن الحقيقة أن كلمة شعب لا تعني إطلاقا هذا المفهوم أو ما تعنيه الآن، وإنما هي تعني مجموع الناس في الأمة على اختلاف طوائفهم ودرجاتهم، وانتماءاتهم، فقد ورد العقد الفريد لابن عبد ربه[[13]](#footnote-13) هذا التقسيم:

الأسرة وتسمى الرهط أو الفصيلة، وحين ينظم عدد منهم إلى بعضه يكون العشيرة، ومن العشائر يتكون الفخذ، ومن الأفخاذ يتشكل البطن، والبطون تكون العمارة، ومن العمارة تقوم القبيلة و مجموعة القبائل هي الشعب.

فالشعب يعني مجموع أفراد الأمة بمختلف طوائفه وطبقاته فهو بذلك صفة تجمع الجماعة، وليس صفة فصل جانب أو طائفة أو طبقة , وبالتالي فالأدب الشعبي لا يقصد طبقة معينة من طبقات الشعب، وإنما هو فعلا يحمل المفهوم الصحيح لاسمه، فالشعب هو كل أفراد الأمة، والأدب الشعبي هو كل ما يقدم لهؤلاء جميعا، أو بمعنى أدق هو ما يقبله هؤلاء جميعا ويقبلون عليه.

من هنا كان تحديد شعبية العمل الأدبي لا يتم إلا عن طريق الشعب ذاته.

**وله مجموعة من التعريفات نلخصها في التالي**:

1. الأدب الشعبي مرتبط شكلا ومضمونا بقضايا الشعب، فالخروج عن المألوف ما هو سوى قراءة بطريقة خاصة للواقع، إن العجز عن تحقيق الرغبات والانشغالات يؤدي بالمبدع إلى اللجوء إلى الخيال، فالرموز والسحر والخيال والغرابة تعبير عن حرمان اجتماعي يهدف على إعادة النظام إلى أصله والتوازن في الإنسان.
2. الأدب الشعبي هو أدب العامة سواء كان مطبوعا أو مكتوبا، مجهول المؤلف أو معروفا، متوارثا أم أنشأه معاصرون متعلمون.
3. الأدب الشعبي هو المعبر عن ذاتية الشعب المستهدف تقدمه الحضاري، الراسم لمصالحه يستوي فيه أدب الفصحى وأدب العامية وأدب الرواية الشفهية وأدب المطبعة.
4. الأدب الشعبي هو القول التلقائي العريق المتداول بالفعل المتوارث جيلا بعد جيل المرتبط بالعادات والتقاليد.
5. الأدب الشعبي هو الذي يصدر عن الشعب فيعبر عن وجدانه ويمثل تفكيره و يعكس اتجاهاته ومستوياته الحضارية.[[14]](#footnote-14)

بعد جل هذه التعريفات المختلفة للأدب الشعبي نحاول أن نقترب من مفهومه لا عن طريق تعريفه، ولكن عن طريق الصفات المميزة له، وهي صفات تخصه لوحده دون غيره.

أولا: من حيث اللغة:

إذا كان من السهل القول بأن الأدب الرسمي يلتزم اللغة الفصحى السليمة الرسمية المشتركة، والأدب العامي يلتزم اللغة العامية الدارجة المحلية، فإنه من الصعب تحديد اللغة التي يلتزمها الأدب الشعبي، فإذا كانت العامية تخالف الفصحى في ثلاثة مجالات أساسية هي:

* ترك الإعراب.
* استعمال أسماء ومصطلحات محلية.
* عدم وجود قواعد ثابته لها.

فإننا نستطيع أن نتصور عوامل التقارب بين لهجة ما وفصحاها، فمن حيث :

**ترك الإعراب:**

يمكن إلى حد ما استعمال الفصحى مستعلمة أو مهملة، كما يتم التقارب عن طريق الابتعاد عن الأسماء والمصطلحات المحلية، واستعمال الألفاظ الفصحى طالما كانت سهلة النطق واسعة الانتشار والعكس صحيح، إذ يمكن القول بأن الفصحى تستطيع أن تقترب إلى العاميات إذا ما سلكت الطريق نفسه، فيؤدي هذا المسلك إلى لغة الأدب الشعبي: فصحى سهلة وميسرة حتى تكاد تقترب من العامية في الشكل الظاهري ولكنها تقارب كل عاميات اللغة بحيث تكاد تقنع كل لهجة أنها منها.

ثانيا**:** من حيث الموضوع**:**

يمكن القول بأن موضوع الأدب الشعبي مثل لغته تماما عام بحيث يمس كل فرد من أفراد الأمة، وخاص بحيث يحس كل فرد بأنه موضوعه الشخصي الذي يهمه وحده وقبل أي شخص آخر.

من هنا جاءت صورة تحديد موضوع الأدب الشعبي فهو يتناول كل موضوع – وأي موضوع- له اتصال مباشر بالشعب، ويرتقي فوق عاملي الزمان والمكان فينتشر في جميع بقاع الأمة بالدرجة نفسها، ويبقى على مر العصور بالمستوى نفسه وينتقل من جيل إلى جيل ميراثا مقدسا وتراثا خالدا.

ثالثا:من حيث الشكل:

يعتبر الأدب الشعبي قمة الوعي الفني في هذه الناحية، فهو لا يعدد لنفسه شكلا معينا، ولا يأنف أن يستعير لنفسه أي شكل يجد فيه تحقيق لأهدافه ومراميه، لذلك فبالنسبة للون القصصي يبدأ من الأحدوثة أو الحدوثة ذات الأسطر القليلة، وينتهي بالسيرة التي تعد صفحاتها بالألاف لتستوعب العمل القصصي.

رابعا: من حيث المضمون**:**

يمكن القول بأنه هو الذي أعطى للأدب الشعبي مكانه ومكانته، أو هو الذي جعله شعبيا حين مس وترا من إحساس كل فرد من الأمة، وشد انتباه كل عضو في المجتمع، وأثر على مشاعر كل شخص على طول المدى.

من هنا نستطيع أن نحدد " للشعبية" معلمين أساسيين:

1. **الانتشار أو التداول**:

بحيث يشمل مجموعة أفراد الأمة بكامل طبقاتها، وطوائفها وأفرادها.

1. **التراثية أو الخلود:**

بحيث يستطيع أن يطفو فوق سطح الزمن ليقابل كل عصر بالجدة نفسها و الحيوية، ويلتقي مع كل جيل بالانفعال نفسه والتأثير.

ومن هنا أيضا يمكن أن نصف " الشعبية" بصفة تحددها وتدل عليها هي :" تراثية التداول" أي " الانتشار والخلود...".

1. [WWW.Dreemboxgate.com](http://WWW.Dreemboxgate.com) [↑](#footnote-ref-1)
2. [WWW.lovdz.com/v6/Shomthread.php25091brahimston.blogsot.com](http://WWW.lovdz.com/v6/Shomthread.php25091brahimston.blogsot.com) [↑](#footnote-ref-2)
3. محمد الجوهوري: دراسات في علم الفلكلور، عن الدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 1998، ص 37. [↑](#footnote-ref-3)
4. almothaqaf.com [↑](#footnote-ref-4)
5. محمود ذهني: الأدب الشعبي العربي مفهومه ومضمونه، مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1992.ص ,89 [↑](#footnote-ref-5)
6. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-6)
7. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-7)
8. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-8)
9. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-9)
10. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-10)
11. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-11)
12. يوري سكولوف: الفلكلور قضاياه وتاريخه، ترجمة: حلمي الشعراوي عبد الحميد حواس، مكتبة الدراسات الشعبية، لهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط2، 2000.( بتصرف الجزء الأول) [↑](#footnote-ref-12)
13. أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي: العقد الفريد تحقيق مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية، المجلد 3، ط1، 1404 هـ/ 1983م ص 233. [↑](#footnote-ref-13)
14. [WWW.lovedz.com](http://WWW.lovedz.com) [↑](#footnote-ref-14)